جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس
مركز دراسات الدكتوراه: اللغات والتراث والتهيئة المجالية
محور: الدراسات الجغرافية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا

في موضوع

التحولات السوسيو- مجالية في علاقتها بالتحديث الفلاحي بالشريط الساحلي لمنطقة الغرب

إعداد الطالب الباحث
عبد الرحمان حرور

الأستاذ المشرف
الدكتور حسن ضايض

لجنة المناقشة

الدكتور محمد شوقي (كلية الآداب والعلوم الإنسانية – سايس- فاس) / رئيسا
الدكتور عبد الكبير باهني (المعهد الجامعي للبحث العلمي - الرباط) / عضوا
الدكتور بوشتى الخزان (كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز- فاس)/ عضوا
الدكتور حسن ضايض (كلية الآداب والعلوم الإنسانية – سايس- فاس)/ مشرفا ومقررا

بتاريخ 14 نونبر 2018

ملخص الأطروحة

توطئة

ركزت الدولة على القطاع الفلاحي كخيار استراتيجي للسياسة الاقتصادية لمغرب ما بعد الاستقلال.

من أجل رد الاعتبار لساكنة الأرياف المغربية، بدأت الدولة الحديثة الاهتمام بتنميتها من خلال وضع مخططات وبرامج مختلفة، لتحديث القطاع الفلاحي.

لكن بقي التساؤل مطروحا حول انعكاسات هذه السياسات على المجال الفلاحي والمستوى الاقتصادي والحالة الاجتماعية لسكان الأرياف المغربية.

في هذا السياق تأتي هذه الدراسة التي نقدم أهم خلاصاتها في هذا العرض وفق التصميم التالي:

تصميم العرض

1. تحديد مجال الدراسة
2. إشكالية البحث
3. الفرضيات
4. أهداف البحث
5. منهجية البحث
6. أهم النتائج

الموقع الجغرافي للمجال المدروس

خريطة رقم 1: موقع إقليم القنيطرة من جهة الرباط – سلا - القنيطرة

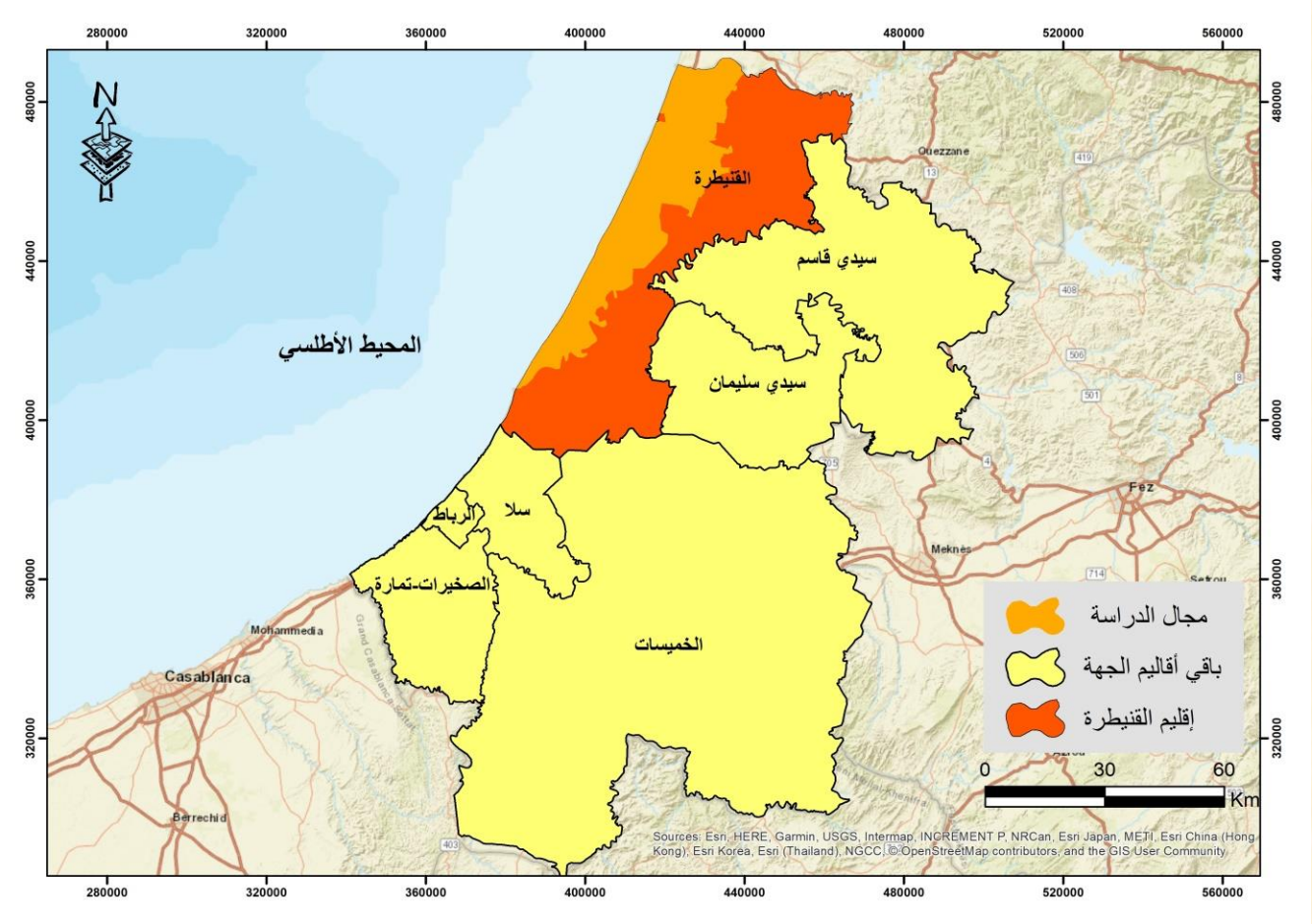

تمتد المنطقة الساحلية، "على طول ساحل إقليم القنيطرة، من جماعة سيدي الطيبي جنوبا إلى جماعة الشوافع شمالا، على امتداد قاري يتراوح ما بين 15 و30 كلم.". وتضم 13 جماعة ترابية

مجال الدراسة يقتصر على ست جماعات ترابية وهي جماعات المناصرة، بنمنصور، البحارة أولاد عياد، سيدي محمد لحمر، مولاي بوسلهام والشوافع.

خريطة رقم 2: موقع المجال المدروس من إقليم القنيطرة

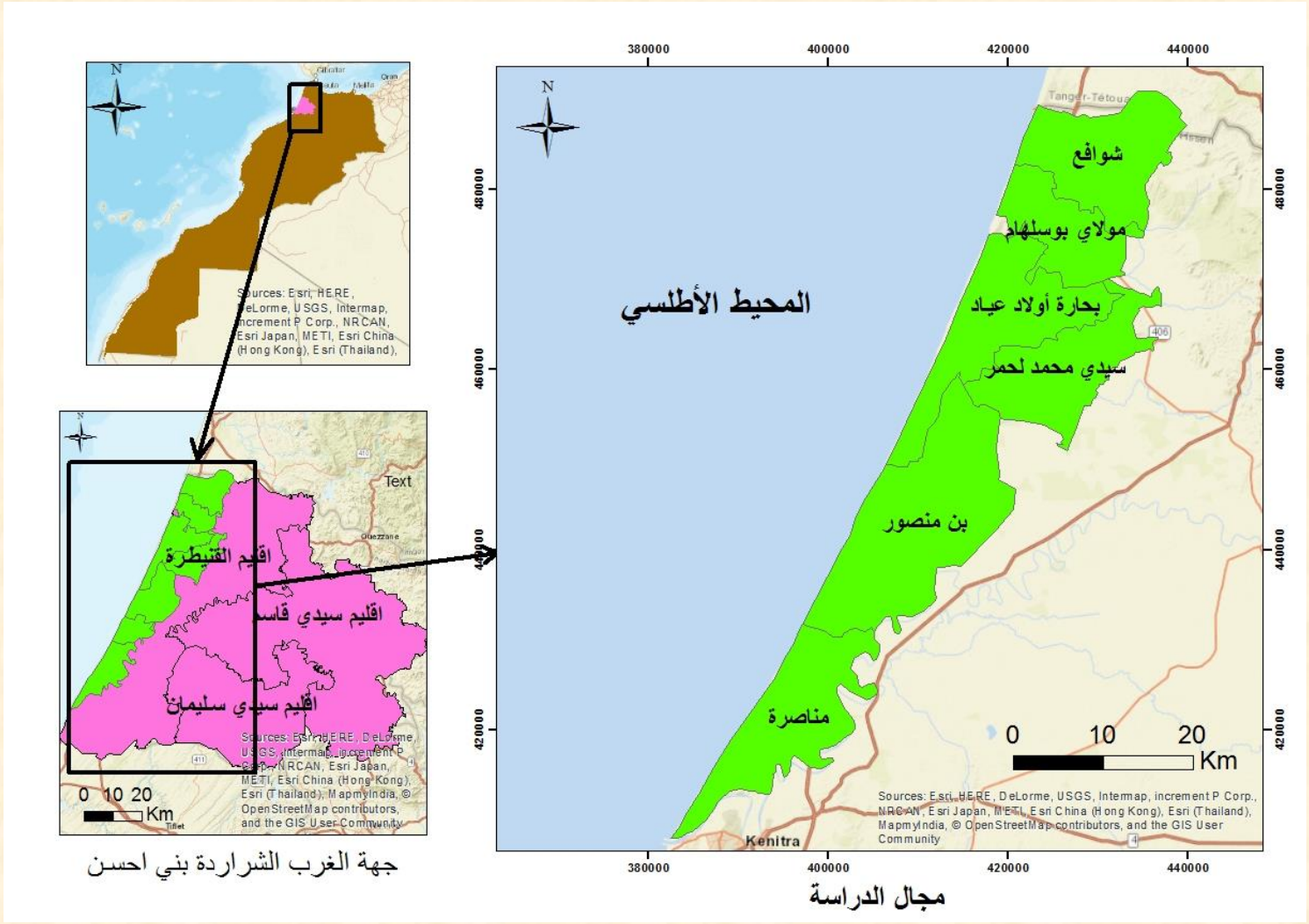

المصدر: إعداد شخصي بواسطة نظم المعلومات الجغرافية (Arc gis)

إشكالية البحث

تتلخلص إشكالية البحث في ثلاثة محاور كبرى

1. تشخيص مظاهر وأشكال التحديث الفلاحي بالشريط الساحلي لمنطقة الغرب؛

2. رصد آثاره على المستوى الاقتصادي والاجتماعي لساكنة المنطقة؛

3. تتبع انعكاساته على مستوى إعادة تنظيم المجال وعلى المستوى البيئي بمجال الدراسة؛

كما أنها تبحث، في كل هذه المحاور، إلى أي حد تم أخذ خصوصية المنطقة والاحتياجات الفعلية لسكانها بعين الاعتبار.

فرضيات البحث

تنطلق هذه الدراسة من ثلاث فرضيات رئيسة

- كون التحديث الفلاحي لم يكن وليد تطورات طبيعية وتدريجية للوسط الريفي المغربي، وإنما جاء تلبية لرغبة المستعمر في الحفاظ على مصالحه

- كون تدخل الدولة المغربية الحديثة بواسطة أجهزة إدارية أنشأتها لهذا الغرض، كرس نفس الأسلوب

- كون إصلاح الشريط الساحلي واعتماد الفلاحة على السقي أدى إلى ظهور نظام زراعي جديد، لكن هذا التحديث أنتج وضعا متدهورا على المستوى المجالي والبيئي،

أهداف البحث وأهمية الموضوع والمجال المدروس

تبرز أهمية البحث من طبيعة الموضوع والمجال المدروس

- فهو يتطرق إلى تحولات العميقة في المجال الريفي على عدة مستويات؛

- كون سهل الغرب منطقة فلاحية بامتياز لكن أن شريطه الساحلي بقي مهمشا لمدة طويلة

- كون الانعكاسات السوسيومجالية لعملية التحديث الفلاحي بمجال الدراسة لم تحض بما يكفي من الدراسة والتحليل، بشكل يعري واقع وحقيقة هذه التحولات في علاقتها بهذا التحديث الفلاحي

أهداف البحث وأهمية الموضوع والمجال المدروس

- بعض الدراسات من تناولت الموضوع من زاوية تقنية صرفة، أي في إطار مقاربة (تقنوية) بحتة (Approche techniciste)، من غير اهتمام كبير بالإنسان، وفي كونه المحور والأساس.
- دراسات أخرى اهتمت بمدى قدرة الدولة على التأثير في المجالات الريفية من خلال سياسة الإعداد الهيدروفلاحي
- كما نجد دراسات ركزت على تداخل وتعقد العلاقات بين الفاعلين والمتدخلين في المجال الريفي.

منهجية البحث ومراحل إعداده

اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي؛

يهتم بدراسة الظواهر والأحداث، كما هي من حيث خصائصها وأشكالها والعوامل المؤثرة فيها؛

كما أنه يتميز باستخدام الأسلوب الكمي والكيفي مع التحليل؛

فهو منهج وصفي تحليلي ملائم أكثر للبحث الجغرافي.

علاقة بالمجال المدروس

- تطلب البحث الاطلاع على خصائص المرحلة السابقة لهذا التحول من أجل التعرف على البنيات الموروثة قبل عملية التحديث الفلاحي؛
- استحضار البعد التاريخي لمجال الدراسة في إطار محيطه،
- تحليل التدخلات الرسمية المهيكلة في المجال
- اعتماد مؤشرات معينة مثل الشغل، والسكن، والصحة والتعليم، من أجل قياس الانعكاسات السوسيو-مجالية للتحديث الفلاحي على مجال الدراسة
- الانطلاق من العام إلى الخاص La logique d’entonoir

مراحل إعداد البحث

المرحلة الأولى

- تكوين رصيد نظري من خلال الاطلاع على أهم المراجع التي تناولت موضوع التحولات المجالية والاقتصادية والاجتماعية في علاقتها بالتحديث الفلاحي.
- الاطلاع على البحوث التي أنجزت في الموضوع بصفة عامة وعن الشريط الساحلي بصفة خاصة من أجل تحقيق التكامل والاستمرارية في ميدان البحث العلمي.
- استثمار الإحصاءات الرسمية، مثل الإحصاءات العامة للسكان والسكنى والإحصاءات الفلاحية المختلفة.
- إنجاز خرائط لمجال الدراسة اعتمادا على نظم المعلومات الجغرافية (Arc gis).

المرحلة الثانية: العمل الميداني

- الملاحظات والزيارات المتكررة للمجال المدروس، من أجل إعداد الاستمارات؛
- إجراء مقابلات مع بعض الفلاحين والمتدخلين في المجال؛
- زيارات لعدة إدارات ذات صلة بموضوع البحث.

وعليه فقد تم إنجاز ثلاثة أنواع من الاستمارات:

- استمارة الاستغلالية الفلاحية: 221 استمارة
- استمارة السكن القروي: 120
- استمارة الخدمات والأنشطة بمركز الدلالحة: جرد شامل

أهم الاستنتاجات والخلاصات

- **وجود تنوع في الأنظمة العقارية بمجال الدراسة، فهي** تتكون من أراضي الجموع، الملكية الخاصة، أراضي الأحباس و"الكيش".

- **هيمنة أراضي الجموع** على الأنظمة العقارية السائدة في منطقة الغرب (أكثر من 50 % في مجال الدراسة)

- **الاستحواذ المبكر للمستعمر على أجود الأراضي** بعد إرسائه لقوانين تساعده على ذلك. ملكية الأجانب (حوالي 25% في منطقة الغرب إلى حدود 1964)

أهم الاستنتاجات والخلاصات

من حيث حجم الحيازات كانت فئة الحيازات ذات المساحات المتوسطة والكبيرة التي تفوق عشرة هكتارات تتجاوز 80 %، لكن الوضعية تغيرت حيث أصبحت الحيازات ذات مساحات أقل من 5 هكتارات تتجاوز 50 %.

شكلت هذه الوضعية إكراها أمام عملية التحديث الفلاحي بسبب صعوبة توظيف العقارات في مختلف الأغراض الفلاحية.

أهم الاستنتاجات والخلاصات

فيما يتعلق بالبنيات الاجتماعية وقياس مدى تماسكها، كان سكان المجال الريفي موضوع البحث يعتمدون في ممارسة أنشطتهم الفلاحية:

- على التعاون المجاني المتبادل، وعلى اليد العاملة العائلية.
- أسلوب عيشهم كان يتسم بالبساطة، سواء من حيث طبيعة السكن أو مستوى التجهيزات.
- الاعتماد على زراعة معيشية بأساليب تقليدية وعلى الرعي.

هذه البنية لم تكن مساعدة على الانتقال السريع نحو العصرنة والرأسمال الزراعي

أهم الاستنتاجات والخلاصات

- استنتجتا أن **جغرافية المنطقة تنقسم إلى ثلاثة مجالات متباينة** جعلت من الشريط الساحلي مجالا هامشيا يخصص للرعي التقليدي في فترات قليلة من السنة، بسبب تعرضه للفيضانات، وانتشار المرجات والكثبان الرملية ...

- من العوامل الإيجابية لمجال الدراسة موقعه الجغرافي المتميز، واستفادته من الشبكة الطرقية التي تيسر ربطه بالإقليم.

خريطة رقم 3 : الشبكة الطرقية بالمنطقة الساحلية

غنى المنطقة الساحلية بما تتوفر عليه من موارد طبيعية ومناخ معتدل ، إضافة إلى جودة تربتها وتوفرها على مياه سطحية وباطنية مهمة،

خريطة رقم 04 : تباين عمق المياه الباطنية بالشريط الساحلي

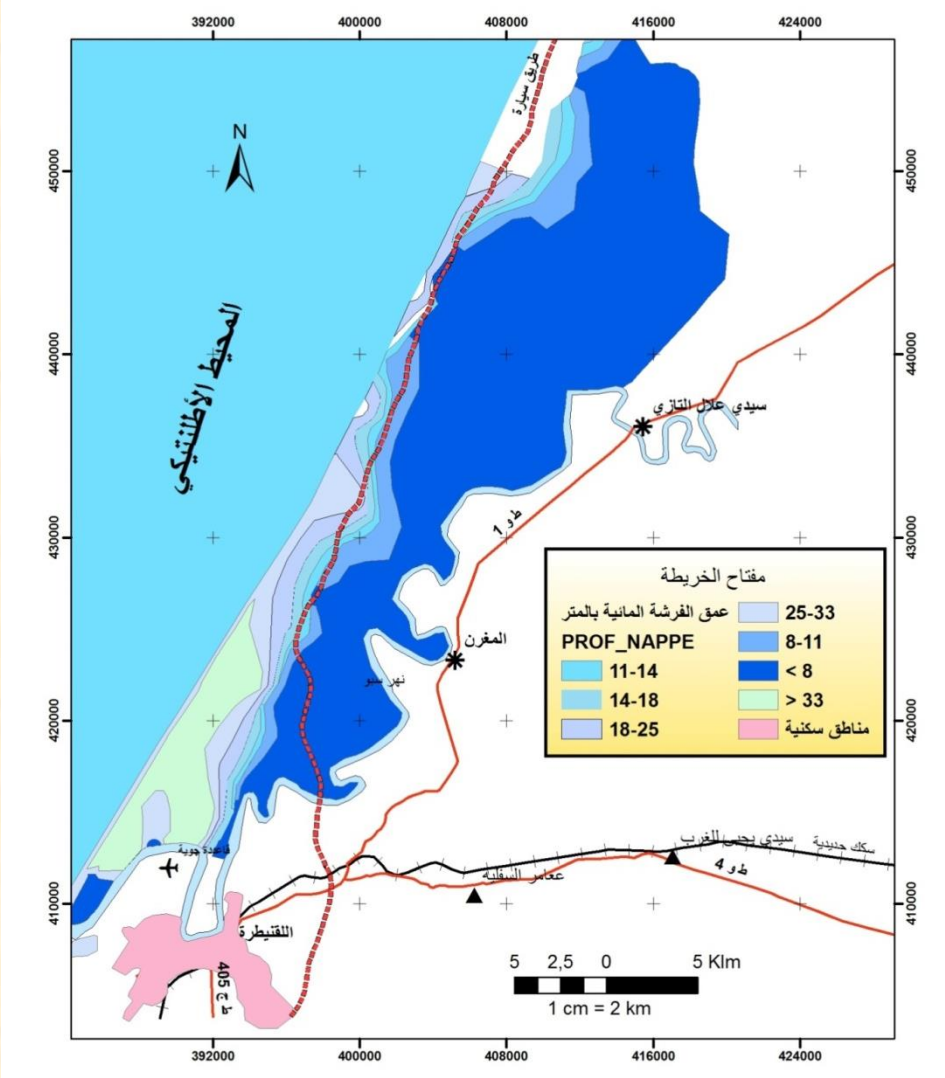

تحديث فلاحي اعتمادا على استثمارات الخواص

شجعت المعطيات الطبيعية على تطور الاستثمارات الفلاحية في المنطقة من طرف الخواص في غياب تدخل الدولة أو من خلال تدخل جزئي وانتقائي.

لجوء الفلاحين إلى حفر الآبار أمام انعدام أو ضعف التجهيزات الهدروفلاحية.

أكثر من 3300 بئر، 2800 ثقب، بأربع جماعات بمجال الدراسة

(المكتب ج س ف وضعية 2015)

الانعكاسات سوسيومجالية

- ظهور أشكال جديدة في ممارسة النشاط الفلاحي باعتماد **أساليب** عصرية أو شبه عصرية:
- **الاستعمال المكثف للمدخلات الفلاحية من أسمدة ومبيدات** أكثر من 90 % **وبذور مختارة** بين 30 % و50 %
- مكننة خدمة الأرض واستعمال الآلات الفلاحية تجاوز 80%
- ظهور أنشطة زراعية حديثة تعتمد على السقي واستعمال تقنيات عصرية متطورة شملت الخضر والفواكه التي يوجه جزء مهم منها إلى السوق الجهوية والوطنية.

تطور قطاع الماشية وتربية الدواجن

- **قطاع تربية الماشية**، ما زال يعاني من عدة إكراهات أهمها وجود قطاع تقليدي مهمش في ملكية صغار الفلاحين، إلى جانب قطاع عصري أعطيت له عناية من طرف الدولة.

- **قطاع تربية الدواجن**، تحول هو الآخر إلى عنصر أساسي في التنمية المحلية، نظرا لما يوفره من أرباح بسبب دخوله تدريجيا في الثقافة الاستهلاكية للمواطن المغربي.

الانعكاسات الاجتماعية

أسفر التحديث الفلاحي عن تناقضات كبيرة:

ارتفاع طفيف في أجر العمال الفلاحيين وكذالك في أيام العمل من 20 إلى 280 يوم عمل في الهكتار حسب نوع المزروعات

لكن استفادة العمال الفلاحيين كانت بالقدر الذي لا يحقق لهم أكثر من فرصة البقاء على قيد الحياة ليتمكنوا من العمل في ضيعات المستثمر (المستعمر الجديد)، وكبار الفلاحين.

الانعكاسات الاجتماعية

وجود نقص كبير في المؤسسات التعليمية والمرافق الصحية.

- 23 مدرسة ابتدائية في ست جماعات بمعدل أقل من 4/الجماعة
- 4 مستوصفات و5 مراكز صحية
- حالة الطرق متردية خاصة الثانوية منها والرابطة بين المراكز القروية والدواوير.
- ضعف نسبة الربط بشبكة الماء الصالح للشرب والكهرباء بين 10 و 40% (2015)

الانعكاسات السوسيو مجالية

- انتقلت المنطقة من عدم استقرار قبل الفترة الاستعمارية إلى تحولات عميقة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، انعكست بدورها على النمو السكاني وإعادة تنظيم المجال
- أدى إلى اختلالات مجالية وتدهور بيئي قد يؤديان إلى إضعاف المؤهلات الطبيعية التي تتوفر عليها المنطقة.

على المستوى المجالي

- **هيمنة البناء العشوائي على واقع التعمير (نموذج مركز الدلالحة)**
- **ارتبطت نشأة المركز وتطوره بالتحديث الفلاحي**
- ارتفاع نسبة خدمات الإصلاح والصيانة وتجارة المواد الفلاحية بمركز الدلالحة
- **التدهور البيئي من أكبر الانعكاسات السلبية للتحديث الفلاحي**

في خلاصة عامة، نشير إلى تأكيد فرضيات البحث

- كون التحديث الفلاحي لم يكن وليد تطور طبيعي تدريجي للوسط الريفي المغربي،
- كون البوادر الأولى للتجديدات الفلاحية انطلقت مع المستعمر وحاولت الدولة المغربية الحديثة نهج نفس السياسة لكن سرعان ما تراجع دورها وتخلت عن دعم صغار الفلاحين.
- كون اعتماد الفلاحة على السقي أدى إلى تطور نظام زراعي جديد، بدأ يتخلى عن المزروعات التقليدية الاستهلاكية لصالح مزروعات جديدة تسويقية.
- كون عملية التحديث الفلاحي، في غياب تدخل للدولة في إطار مقاربة تشاركية واعتماد نموذج تنموي محلي مستدام يراعي خصوصية المنطقة ويحافظ على مواردها الطبيعية، أدت إلى اختلالات مجالية وبيئية واجتماعية
- الفلاحة لم تحد من الفوارق الاجتماعية وإنما كرستها
- الفقر ما يزال متفشيا بسبب ضعف الأجور الفلاحية وعدم انتظام فرص الشغل إضافة إلى عدم حماية العامل الفلاحي من طرف الدولة
- استثمارات الفلاحين الكبار في غير القطاع الفلاحي شبه منعدمة بالمنطقة، فهم يكسبون أرباحا مهمة من المنطقة ولكن يضخونها في قطاعات أخرى خارج المنطقة باستثناء بعض الوحدات الصناعية التي هم في حاجة آنية إليها.